مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية

التقدير نصف الشهري

تحليل للتطورات السياسية والامنية على الساحتين الدولية والاقليمية

www.bahethcenter.net
Email: baheth@bahethcenter.net
bahethcenter@hotmail.com

باحث للدراسات
الفلسطينية والاستراتيجية

تقدير نصف شهري للتطوّرات السياسية والأمنية على الساحتين الدولية والإقليمية

أهداف المركز الرئيسية:

1 . إعادة فلسطين إلى موقعها الحقيقي كقضية مركزية للأمة.

2 . الترويج للقيم الجهادية والنضالية في إطار استراتيجية تحرير فلسطين.

3 . بناء علاقة متينة مع النخب والشخصيات المعنية بالقضية الفلسطينية.

4 . إصدار دراسات وأبحاث وتقارير ذات بعد استراتيجي وتحليلي.

لم يعد هناك من منطقة رماديّة
سوريا غيّرت الشرق الأوسط .. ولاحقاً العالم

د. لينه بلاغي

" **إمّا أن نربح وإمّا أن نخسر. على المستوى المشترك، نحن وتركيا والحلفاء، الكل يربح أو الكل يخسر؛ لا يوجد حل وسط؛ لا توجد حالة رماديّة** ". هذا جزء من تصريح للرئيس السوري السابق بشّار الأسد، والمتعلق بإعادة العلاقات مع تركيا، وفيه وصف مُعَبّر جداً، وقد حمَل في طيّاته الرؤية الأخيرة التي حكَمت أفكاره السياسية فيما يتعلق بسوريا والمنطقة. ولعلّ هذه الرؤية حملت بعضاً من غرور العلاقات المستجدّة السورية – العربية، والبناء على أوهام الخروج عمّا تفرضه المعادلات الجغرافية والصراعات التاريخية والمتغيّرات التي عبّرت عنها طموحات ألدّ الأعداء، وبوضوح، ومخاوف أقرب الحلفاء.

لقد خرج بشّار الأسد، ومعه سوريا، من المنطقة "الرمادية" ومن كامل سوريا، وأخرج بها الحلفاء من معادلة الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط. معادلة أقرّ بها العدو والحليف؛ خروجاً دفع بشكل كلّي بعض دول الإقليم إلى إعادة تقييم لمجمل التموضوعات، الداخلية والخارجية، ليرتكز المشهد حالياً على شبه "قيامة جديدة" لجوهرة تاج المحور الإيراني؛ أي حزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان.

كان من المرتقب أن تكون سوريا ساحة المنازلة الثانية بعد لبنان. لكن بوجود بشّار الأسد، الذي آثر الخروج وإخراج مجمل المحور دون أي "حل وسط"، فاسحاً المجال أمام الخطيئة الأكبر "السماح بتدمير سوريا" كي "يحقن دم السوريين". خطيئة قد تكون ناجمة عن إدراكه بأن أوامر الجيش السوري ما عادت بين يديه؛ الجيش الذي يُقال إنه أنهِك بالحرب، ما عاد قادراً على مقاومة الضغوط والحرب الإعلامية،

وخَضــع لمصــالح وتعليمات بعض الأطراف الدولية، على بعض التقارير، والشــخصــية على بعضــها الآخر.

توحّدت الكلمة من الشـمال حتى الجنوب. كمّاشــة الجنوب والشـمال، أو "كسّــارة الجوز". وتوحّد مبدأ القضم للأراضـي السورية؛ قضم سيتبعه على ما يبدو صراعات من كلّ حدب وصوب. لم تستقر بعد معادلة بعد معادلة الشــرق الأوســط الجديد؛ هناك لاعبان في الســاحة ما زالا يشــكّلان خطراً على المطامح الإسرائيلية؛ أحدهما يشكّل حالياً هدفاً غائياً، إيران، تليها تركيا، وإن تعزّزت النزعة العثمانية. استعاد تنظيم الإخوان المسلمين رونقه، وإن مُهِر بخيانة فلسطين وغزة بأهلها. عادت التموضعات إلى سابق عهدها، واستعيد معها ذلك النفَس المذهبي الذي أثار إطلاق صفة شهيد على شهداء غزة، وصفة قتيل على شهداء المقاومة اللبنانية، فتحسّست بعض الدول العربية رؤوسها. فقَطَر الإخوانية، والمساهم أوالشريك المباشر في "إنجازات" تغيير النظام السوري، غير بعيدة عن ذكريات العداء العربي لها على نفس الخلفيّة الداعمة لنفس المجموعات في سـوريا ومصــر .. وكأنّ الزمن تلاشــى بين عامي 2011 و2024؛ ثلاثة عشر سنة تلاشت أمام عداء شخصي بعد صداقة شخصية بين الأسد وأردوغان؛ ســنوات يبدو أنها ما أضــافت بُعداً جديداً لفهم تحوّلات المنطقة واصــطفافاتها الحقيقية، والتي تنطلق منها، وعبرها، آليات تحديد الاســتراتيجيات والأولويات، التحالفات و... النصــر والخســارة ، المقاومة والفرار.

كيف كانت سوريا في أواخر العام 2024؟

مباشرة عقب تهديد رئيس وزراء الكيان الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، للرئيس السوري بشّار الأسد، من مغبّة اللعب بالنار خلال الإعلان عن اتفاق وقف إطلاق النار بين لبنان والكيان، سارعت المجموعات المسلّحة، مساء يوم 30 تشرين الثاني 2024، بقيادة هيئة تحرير الشام، للاستيلاء على محافظة حماة، وعشرات البلدات والقرى في الريف، فاتحة المجال أمام بقيّة المدن دون أي مقاومة تُذكر من قِبل الجيش السوري، وصولاً إلى دمشق العاصمة.

بعدها، لجأ الأسد وعائلته إلى موسكو، ودخلت القوّات التابعة لهيئة تحرير الشام إلى العاصمة دمشق وأريافها. في الوقت نفسه، أقدمت القوّات الأمريكية على قصف وسط سوريا، ضمن جولة ضخمة من الضربات، بعد يوم واحد فقط من انهيار حكومة البلاد. وقد أعلنت القيادة المركزية الأميركية أن طائراتها الحربية نفّذت "عشرات" الغارات الجويّة على أكثر من 75 موقعاً، فيما وصفه مسؤول كبير في الإدارة الأميركية بـ"الضربة الكبيرة". وفي محاولة لتبرير الهجوم على سوريا دولياً، قال الجنرال إريك كوريلا، رئيس القيادة المركزية الأميركية: "لا ينبغي أن يكون هناك شك في أنّنا لن نسمح لتنظيم داعش بإعادة تشكيل نفسه والاستفادة من الوضع الحالي في سوريا. يجب أن تعلم جميع المنظمات في سوريا أننا سنُحاسبها إذا تعاونت مع داعش أو دعمتها بأي شكل من الأشكال."

من جهته، الرئيس جو بايدن أكّد أن الولايات المتحدة ستُحافظ على مواقعها في سوريا، وستواصل قتال داعش، واصفاً في وقت لاحق سقوط نظام الأسد بالفرصة النادرة، ومشدّداً على محاسبة الأسد، في حين نُقِل عن جون كيربي، منسّق السياسات الاستراتيجية في مجلس الأمن القومي، أنه سيتم التواصل "مع مختلف مكوّنات المعارضة السورية، ونريد أن تتم الاستجابة لتطلّعات الشعب السوري"، كما "التواصل مع نظرائنا الإسرائيليين في حين تتطوّر الأحداث بسوريا"، وأن الولايات المتحدة لا تزال تدعم "تنفيذ اتفاقية فض الاشتباك لعام 1974 بين إسرائيل وسوريا".

من جانبه، افتتح الكيان الصهيوني مرحلة الانهيار السوري بضربات عنيفة، مع إسقاطه لاتفاقية "فض الاشتباك لعام 1974 بين إسرائيل وسوريا"، على لسان رئيس وزرائه. وقد أشارت إذاعة جيش الاحتلال الإسرائيلي إلى أن "الجيش انتهى من الجزء الأساسي من العملية في سوريا، مُدمّراً ما بين 70 إلى 80% من القدرات العسكرية السورية، وأن ٣٥٠ مقاتلة هاجمت مواقع من دمشق إلى طرطوس مُدمّرة عشرات من الطائرات وأنظمة الدفاع الجوي ومستودعات الأسلحة".

كما عبّرت أوساط إسرائيلية عن نوايا لتعزيز "التعاون" بين منطقة السويداء ذات الأغلبية الدرزية ومتعلقاتها في الأرياف الجنوبية للعاصمة دمشق وأتباع الطائفة الدرزية في الكيان المحتل، في محاولة لإحياء مشروع تقسيم سوريا، بعد اقتطاع مساحات من الجنوب السوري بحجّة الأمن الإسرائيلي

والمخاوف من الفوضـــى التي ترتّبت من عملية التغيير في ســـوريا، رغم التطمينات التي أطلقها زعيم هيئة تحرير الشام أحمد الشرع، الملقّب بالجولاني .

برّياً، سـيطر جيش الكيان الإسـرائيلي على جبل الشـيخ، مُحكماً إمسـاكه بخط بيروت– دمشـق بالنار، ومتوغّلًا إلى قرابة ٤٠ كيلومتراً، وقيل أقل، من العاصـمة دمشـق، في محاولة لفرض واقع جديد سـيقود حكماً إلى ترتيبات أمنية جديدة، بعدما اعتبر بنيامين نتنياهو اتفاقية فصـــل القوّات الموقّعة عام ١٩٧٣ لاغية.

ومن المتوقّع كذلك إعلان دعم إسـرائيلي فيما يتعلق بنشـوء كيان كردي في الشـمال الشـرقي لسـوريا، ولاسيما مع تجربة "إسرائيل" السابقة مع أكراد العراق؛ وهو الأمر الذي سيتحوّل على ما يبدو إلى عقدة لتركيا، ســـتُنغّص عليها، وعلى بعض دول الجوار، الركون إلى الاســـتقرار المرغوب في هذه الرقعة الجغرافية، والتي كانت شرطاً أساسياً من شروط التفاوض لعودة العلاقات بين تركيا ونظام الأسد سابقاً؛ إلى جانب مصـــير الجماعات المتطرّفة في إدلب، "هيئة تحرير الشـــام" و"الجيش الحر"، والمخاوف التركية من تدفّقها على تركيا وتشـــكيلها خطراً يتهدّد الأمن التركي، ولاســـيما بعد تصـــاعد التوتّر بين النازحين السوريين والأتراك خلال السنوات القليلة الماضـية. وعلى الرغم من كون مخاوف أزمة النزوح بخبرات عسكرية إلى تركيا قد حُلّت ظاهرياً، إلّا أنه من المتوقّع أن يشكّل ملف أكراد سوريا أزمة متفجّرة في المستقبل القريب، لتمتّعهم بحماية ثلاثية: روسية وأمريكية وإسرائيلية.

خطوات مرتقبة في سوريا

–قال رئيس أكبر جماعة ضـغط تجارية سورية إن الحكومة السورية الجديدة أبلغت رجال الأعمال بأنها ستتبنّى نموذج السوق الحرّة وتدمج البلاد في الاقتصاد العالمي، في تحوّل كبير عن سيطرة الدولة على الاقتصاد لعقود.

وأضـاف باسـل الحموي، رئيس اتحاد غرف التجارة في دمشـق، في مقابلة مع وكالة رويترز، أن نظام السوق الحرّة سيعتمد على المنافسة.

ـــ هناك إمكانية لرفع "هيئة تحرير الشام" من قائمة الإرهـــــــاب، بحسب ما قاله مسؤولان في الإدارة الأمريكية ومسؤول أميركي كبير سابق لشبكة "أن بي سي نيوز". وقد سبق هذا التوجّه مساعي أمريكية وأممية للتواصل مع الإدارة الجديدة في سوريا، حيث عبّر ممثّل الأمم المتحدة لدى سوريا، أيضاً، عن اتصالات معها، آملاً حل أزمة النزوح، وتعزيز التنمية ومساعدة سوريا اقتصادياً ورفع العقوبات عنها، وتقديم خدمات استشارية في ملف حقوق الإنسان والتشريعات ودمج المقاتلين، فيما أبدى كل من الجانب الألماني والفرنسي (شولتس وماكرون) استعداداً مشروطاً "للتعاون مع القادة الجُدد" في سوريا.

–أحمد الشرع، المُلقّب بأبو محمد الجولاني، أعلن عن "قائمة بأسماء كبار المتورّطين بتعذيب الشعب السوري" ستُنشر قريباً، لملاحقتهم. تزامن ذلك مع إطلاق إدارة العمليات العسكرية حملة مداهمات واعتقالات في مناطق الساحل السوري، قادتها إلى اعتقال عدد من الرموز السابقين، من أمنيين وضبّاط جيش، في اللاذقية وطرطوس.

ودعا الشرع الحكومات الأجنبية "ألّا تقلق بشأن الوضع في سوريا"، إذ إن "الناس مُنهكون من الحرب؛ وبالتالي فإن البلاد غير مستعدّة للدخول في حرب أخرى".

–"هيئة تحرير الشام" تكلّف محمد البشير بتشكيل الحكومة الانتقالية في سوريا.

الدور التركي في سوريا

بانتظار زيارة وزير الخارجية الأمريكي، أنطوني بلينكن، المقرّرة يوم الجمعة لتركيا، نقَلت "رويترز" خبر وساطة سيقوم بها بلينكن خلال الزيارة لأنقرة لوقف القتال "بين الأكراد وفصائل سورية موالية لأنقرة في منبج"، ما من شأنه أن ينغّص على أردوغان فرحته العارمة بانهيار نظام بشّار الأسد، سيما أن الأسد كان أكّد في أكثر من خطاب ومقابلة أنه لا نيّة لديه بترتيب حكم ذاتي كردي أو شبه انفصالي عن سوريا، والذي بات اليوم، بعد انهيار النظام والفوضى العارمة، أقرب إلى الواقع منه الى التمنّي.

هذا وأجرى أردوغان مكالمة هاتفية مع الأمين العام لحلف شمال الأطلسي، مارك روته، ناقشا خلالها تطوّرات الأوضاع في سوريا. وقال أردوغان إن "تركيا ستبذل قصارى جهدها من أجل إقامة دولة سورية موحّدة وخالية من الإرهاب"، بحسب ما جاء في بيان للرئاسة التركية.

وكان أردوغان اعتبر أن "الشعب السوري كلّل ثورته بالنجاح"، و " تنتظره أيام ناصعة البياض" ، مشدّداً على وحدة التراب والشـعب السـوريين"، و"من غير المعقول المخاطرة بها بدعوى وجود منظمة إرهابية ما".

أردوغان، في لحظة الإحساس بالنصر على غريمه السابق، ومُتناسياً على ما يبدو وجود مُنافسين له على الأراضي السورية حالياً من جلدته، أكّد على عدم السماح "بتقسيم الأراضي السورية وتحويلها إلى مناطق صـراع مرّة أخرى"، مُهاجماً خصـمه المسـتقبلي في سـوريا بالقول: "هناك جهات متطرّفة ذات أيديولوجية عنصرية تتقوّى بدول عظمى للاعتداء على سوريا وفلسطين؛ وهذا غير مقبول".

وفي الوقت الذي سُجّل فيه هجوم واسع وتقدّم إسرائيلي في الجنوب السوري، هدّد أردوغان "أي شخص أو جهة تحاول الاعتداء على سوريا ستجد الشعب السوري أمامها، وسنقف إلى جانب الشعب السوري."

وقد أدانت تركيا لاحقاً، و"بشـدّة"، انتهاك "إسـرائيل" لاتفاقية 1974 مع سـوريا، وتقدّم قوّاتها داخل الأراضي السورية، مجدّدة تأكيدها دعم السيادة السورية ووحدتها السياسية وسلامة أراضيها.

من جانبها، دانت قطَر الاختراق الإسـرائيلي للمنطقة العازلة، على لسـان المتحدّث باسـم الخارجية القطَرية ماجد الأنصـاري، الذي أكّد "متابعة التطورات في المنطقة، وعلى رأسـها الحرب في غزة والأوضـاع في لبنان وسـوريا". هذا ودعا الأنصـاري "جميع الأطراف في سـوريا لضـرورة العمل معاً للحفاظ على وحدة التراب السوري وعدم التدخّل "الأجنبي في سوريا".

مواقف أبرز الدول العربية من الوضع السوري:

تناغمت المواقف المعلنة من قِبل الدول العربية الخليجية تحديداً (باسـتثناء قطَر) ومصـر والأردن والعراق، في وحدة الموقف مع موقف المملكة العربية السعودية، من المستجدّات السورية، حيث أكّدت بمجملها على "متابعة التطوّرات في سـوريا، مُبدية ارتياحها للخطوات التي تمّ اتخاذها لتأمين سـلامة الشعب السوري". كما دعا البيان الصادر عن السعودية إلى "تضافر الجهود للحفاظ على وحدة سوريا وتلاحم شعبها ومنع الانزلاق نحو الفوضى والانقسام". هذا وشجبت الدول العربية، ومن ضمنها قطَر، استيلاء الكيان على المنطقة العازلة في الجولان واستهداف القوّات الاسرائيلية للأراضي السورية.

هذا ودعت السعودية المجتمع الدولي إلى إدانة الانتهاكات الإسرائيلية، مُشدّدة على أن "الجولان أرض عربية سورية محتلّة".

أما المواقف الضمنية لبعض الدول العربية بعد انهيار النظام، فقد عبّرت عنها بوضوح محاولات البيت الأبيض عبر أقنيته الدبلوماسية إشاعة أجواء تتعارض والتوجس الذي بدأت تستشعره بعض هذه الدول من التطورات السورية، وردّ الفعل الإسرائيلي المُنتشية من سقوط نظام بشّار الأسد وإسقاط اتفاقية 1974، وتداعياته على القضية الفلسطينية داخل فلسطين المحتلة من جهة، وعلى محوري الأراضي المصرية والأردنية من جهة أخرى. فتغيير المعادلات الإقليمية سيطال في بعض جوانبه الجغرافية سيادة هذه الدول على بعض أراضيها؛ بل وقد يطال إمكانية إحداث تحوّل على مستوى هيكلية النظام السياسي فيها.

فالضغط الإسرائيلي على جبهتي الضفة الغربية باتجاه الأردن وغزة باتجاه مصر، إلى جانب التخوّف من صعود حركة الإخوان المسلمين مجدّداً في المنطقة بمباركة أمريكية – إسرائيلية مرحلية، من شأنه أن يتهدّد كلا النظامين الأردني والمصري، سياسياً وجغرافياً، ولاسيما إذا ما اجتمعا مع الرغبات التوسعية لدى اليمين الصهيوني المتطرف، الذي سيرى في التحوّلات السورية تدخّلاً غيبياً لتحقيق "إسرائيل الكبرى".

وفي هذا السياق ، شدّد وزيرا خارجية الأردن والولايات المتحدة، أيمن الصفدي ونظيره أنتوني بلينكن، خلال اتصال هاتفي، على "ضرورة تحقيق انتقال سلمي للسلطة" في سوريا، عبر "عملية سياسية سورية جامعة، وبما يحفظ وحدة سوريا وتماسكها وأمنها واستقرارها وسيادتها، ويُلبّي طموحات الشعب السوري ويحفظ أمنه، ويهيّئ ظروف العودة الطوعية للّاجئين"، بحسب بيان صادر عن الخارجية الأردنية.

هذا وصرّح المتحدّث باسم وزارة الخارجية الأمريكية، ماثيو ميلر، أن الوزير بلينكن بحث مع نظرائه من الأردن والإمارات وقطَر ومصر، الوضع في سوريا"، و"أن هيئة تحرير الشام تستخدم الكلمات الصحيحة، لكن الولايات المتحدة ستحكم عليها من خلال أفعالها".

من جهتها، كشفت صحيفة معاريف العبرية أن السبب الرئيسي لزيارة رئيس أركان جيش الاحتلال هرتسي هاليفي إلى مصر برفقة رئيس جهاز الأمن الداخلي "الشاباك"، يعود إلى القلق الناجم عن

التطورات الأخيرة في سوريا، بما في ذلك احتمالية أن يرفع مُعارضو الأنظمة في أنحاء الشرق الأوسط رؤوسهم، بدءاً من الأردن مروراً بالعراق، وصولاً إلى السعودية والبحرين والكويت وحتى مصر. في حين ذكرت قناة القاهرة الإخبارية أن الزيارة تأتي "في إطار سعي مصر للوصول إلى تهدئة في غزة، ودعم دخول المساعدات إلى القطاع، ومتابعة تدهور الأوضاع في المنطقة"، دون تفاصيل أكثر.

هذا وكشف بيان عن البيت الأبيض عن اتصال بين الرئيس الأمريكي جو بايدن والعاهل الأردني الملك عبدالله الثاني، مؤكّدًا على الدور الرئيسي للمملكة في المنطقة، و"الحفاظ على الاستقرار وتهدئة التوتّرات" في الشرق الأوسط بعد سقوط نظام الأسد في سوريا. كما ناقش أيضًا "الوضع في شرق سوريا، بما في ذلك التزام الولايات المتحدة بمهمّة دحر داعش، بما في ذلك الضربات التي أُجريَت الليلة الماضية ضدّ تمركز لمقاتلي وقيادات التنظيم."

الأكراد: لم ينته دورهم بعد

زار قائد القيادة المركزية الأمريكية، الجنرال إريك كوريلا، سوريا، والتقى القوّات الأمريكية وقوّات سوريا الديمقراطية الكردية، والمدعومة من واشنطن. وقد أسفرت الزيارة، على ما يبدو، عن اتفاق لوقف إطلاق النار في منبج وانسحاب القوّات الكردية منها.

قائد قوّات سوريا الديموقراطية، مظلوم عبدي، أعلن عن "التوصل إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في منبج بوساطة أمريكية"، وتوافق على خروج مُقاتلي مجلس منبج العسكري من المنطقة، وأن "هدفنا هو وقف إطلاق نار في كامل الأراضي السورية والدخول في عملية سياسية من أجل مستقبل البلاد".

وزير خارجية كيان الاحتلال، جدعون ساعر، اعتبر أنه من "المهم ضمان حماية الأقليّات في سوريا، من الأكراد والدروز والمسيحيين، بجانب العلويين، الأقليّة التي كانت حجَر الأساس لنظام الأسد"، مُطالباً بوقف الهجمات على الوحدات الكردية التي تصنّفها تركيا منظمات إرهابية، ومؤكّدًا وجود اتصالات مع الأكراد والدروز في سوريا، ومُعتبراً أنه "**غير واقعي** أن تبقى سوريا دولة واحدة ذات سيطرة وسيادة فاعلة على كامل أراضيها"، وأن المنطق (الإسرائيلي طبعاً) هو السعي لتحقيق الحكم

الذاتي للأقليّات المختلفة في ســـوريا، ربما من خلال هيكل فيدرالي". وهذا ما يتنافى بالمطلق مع التوجهات التركية فيما يتعلق بملف الأكراد في سوريا.

وهذا ما طالب به بطريقة مُواربة وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن، بقوله: "إن الولايات المتحدة تدعم عملية الانتقال الســـياســـي في ســـوريا دعماً تاماً، وتريد أن تؤدّي العملية إلى حكم جدير بالثقة وشامل وغير طائفي، ويتوافق مع المعايير الدولية للشفافية والمساءلة ؟!"

الدور الروسي في سوريا

تزامنت تصريحات الخارجية الروسية بأن "هناك خطر حقيقي من أن يرفع تنظيم الدولة رأسه مرّة أخرى في ســـوريا"، مع التأكيدات الأمريكية بربط الوجود الأمريكي في ســـوريا ب "عدم الســـماح للجماعات المتطرّفة بالعودة إلى ممارسة نشاطها السابق". لكن كايا كالاس، مسؤولة السياسة الخارجية في الاتحاد الأوروبي، اختصـرت بمنطق الأمور المخاوف بالقول: "هناك مخاوف مشـروعة بشـأن مخاطر العنف الطائفي في ســوريا وتجدّد التطرف في البلاد". لكن الســؤال الواقعي في هذا المجال هو حول مخاطر ستطال تحديداً سوريا والشعب السوري، في ظل بقاء الروسي وحيداً في الساحة السورية.

الكرملين أكّد، كغيره من الدول والجماعات "أن روسيا تتواصل مع السلطات الجديدة في سوريا بشأن الوجود العسكري والتمثيل الدبلوماسي لموسكو بعد سقوط حليفها بشّار الأسد". وعلى الرغم من أن روسـيا بنَت شـبكة علاقات داخل الجماعات المتطرّفة والمعارضــة في سـوريا، وأنها اسـتناداً إلى هذه الشـبكة تخطّط للتفاوض مع حكّام سوريا الجدد حول مستقبل قواعدها العسكرية في الدولة التي مزّقتها الحرب، إلّا أن تعدّد وجهات النظر حول سوريا في روسيا، يكشف أن روسيا (واستخباراتها) تعرّضت لعامل المباغتة، وأن مستقبلها بعيد كل البعد عن الوضوح في سوريا، وهو سيكون محكوماً بالمتغيّرات الجديدة ومشـاريع اللاعبين الجدد فيها، حتى وإن تمّ التسـليم أو قبول فرضـيّة أن تكون روسـيا متواطئة في أحداث سوريا بطريقة أو بأخرى، وأن سوريا كانت كبش فداء لروسيا أولا.

جملة من الانتقادات وجّهت للدولة الروسية واستخباراتها العسكرية المتابعة للملف، كشأن بعض الدول الأخرى. وقد انقسمت الآراء حول حصيلة الأمور في روسيا، لكن جمَعتها جملة "روسيا أوّلاً"، ولو من

وجهات نظر متعدّدة، من منطلق المعتقدات الفكرية بين روسيا الوطن، وروسيا القوّة الدولية، ووجهة النظر التي تتحدث عن المصالح الروسية ما بين القومية والعالمية.

فالبعض "يريد روسيا أوّلًا" لارتباط كينونتها بالحرب القائمة في أوكرانيا، وأن الأولوية الروسية هي أمن روسيا فيما يتعلق بالأحداث في منطقة العمليات العسكرية الخاصة بها، أي أوكرانيا، فيما يعتبر آخرون، كالمراسل العسكري فويني أوسفيدوميتل، بقوله: "هذه هزيمة جيوسياسية هائلة، وخسارة لوجودنا العسكري في الشرق الأوسط، الذي قاتلنا من أجله بشدّة على مدى السنوات التسع الماضية." هذا فيما وصف آخرون ردّة فعل بوتين تجاه الأحداث في سوريا بأنها مرتبطة ب "هوسه بالملف الأوكراني"، حيث اعتبر بعض المحلّلين "أن هوَس بوتين المظلم بإخضاع كييف ساهم في تراجع قدرة روسيا على التأثير على الأحداث في أماكن أخرى."

رسلان بوخوف، رئيس مركز تحليل الاستراتيجيات والتكنولوجيات في موسكو، كشف أن الحرب الشاملة التي تخوضها روسيا في أوكرانيا أدّت إلى "إضعاف" القدرات العسكرية والاستراتيجية للكرملين في سوريا، ما أدّى في النهاية إلى انهيار نظام الأسد"؛ وتابع: "لا تمتلك موسكو القوّة العسكرية الكافية، أو الموارد، أو النفوذ، أو السلطة، للتدخّلات الفعّالة بالقوّة خارج الاتحاد السوفييتي السابق... من الممكن تماماً أن تتظاهر بالقوّة والقدرات على المسرح العالمي؛ ولكن من المهم ألّا تبدأ في تصديق خدعتك." لقد ثبّتت معادلة سوريا الجديدة تآكل القدرات الروسية، والتي بدأت بالظهور فعلياً عبر صراع أذربيجان – أرمينيا، وترك الساحة للنفوذ التركي، ولجوء أرمينيا إلى الحضن الغربي.

المواقف الإيرانية من التحوّل السوري:

في خطاب مثير للانتباه، وصّف المرشد الإيراني، السيد علي الخامنئي، الأزمة التي ألمّت بالمنطقة، وتحديداً في سوريا، وبعيداً عن التحليل والاكتفاء بعرض الوقائع كما هي، معتبراً أن الفوز والهزيمة هما سنّة من سنن الحياة، موضحاً الأسباب خلف انهيار نظام بشّار الأسد، ومحدّداً الأطراف الأساسية المشاركة فيه.

في خطابه الموجّه بالدرجة الأولى للشعب الإيراني، وللرد على الاستفسارات المطروحة، قدّم المرشد عرضاً واضحاً لأسباب الدعم الإيراني في كل من العراق وسوريا، معتبرًا أن هدف داعش الأساسي كان خلق الفوضى الأمنية في إيران. ولذلك كان التوجّه لدعم العراق وسوريا في مواجهة المد الداعشي انطلاقاً من هدفين: "حفظ الأماكن المقدّسة من جهة، وحفظ أمن إيران من جهة أخرى".

أما عن نوع الحضور، فيوضح السيد الخامنئي أن الحضور الإيراني تمثّل بالعمل الاستشاري العسكري والأمني، دون وجود حقيقي للجيش الإيراني، باعتبار أن جيش ذلك البلد مسؤول بمنطق الأمور عن الدفاع عن بلده، في إشارة واضحة إلى الجيش السوري، وبعض الأطراف العراقية بالتبعية، إذ "إن بعض مسؤولي هذه المجموعات التي شاركت في محاربة داعش (في العراق) للأسف صرفت انتباهها حتى عن مصالحها (الوطنية)"، مؤكّدًا أنه بعد هزيمة داعش في العراق وسوريا، فإن بعض فلولها قد رحل، ولكن بعضها بقي".

واعتبر خامنئي أن "مصيبة سوريا" أنه لم تكن هناك إرادة للجيش بالمحاربة والمقاومة، كاشفاً أن إيران قدّمت تحذيرات أمنية متعدّدة لنظام الأسد، إلّا أنه "وقد يكون بسبب امتناع الحلقة الوسطى عن تبليغ التحذيرات" لم يلتفت إليها. وتابع، منتقداً ضمنياً مسألتين من الواضح أن النظام السوري وشخص بشّار الأسد قد عانى منهما في الفترة الأخيرة؛ الأولى المتمثّلة في الغفلة عن أعداء النظام والغرور بالنصر والركون إلى "ابتسامات الأعداء المتربّصين للطعن به"، أو الانكسار والانفعال عند الأزمات، الأمر الذي قد يسبّب ضرراً أكبر من الأزمة عينها.

وأشار المرشد إلى وجود رغبة لدى المسؤولين العسكريين في إيران للمقاومة، لكن " الأرض والسماء كانت مُقفلة من قِبل أمريكا وإسرائيل".

خامنئي اعتبر أن وقائع سوريا تدلّل على المخطّط الأمريكي – الإسرائيلي باعتبارهما الدافع الأصلي والمتآمر الأصلي، مستدلًا بتحوّلهم إلى طرف عسكري "متدخّل" في الحرب، بعد الاعتداءات الإسرائيلية التي تجاوزت 300 اعتداء قوي على البنى التحتية لسوريا، والتي تتطلب إعادة إعمارها عقوداً، والضربات الامريكية ال 75 التي ساهمت فيها الولايات المتحدة في الحرب على سوريا.

ودون أن يُسمّيها، أشار المرشد الأعلى إلى الدور التركي باعتباره المتآمر الثاني على سوريا، بقوله: "دولة جارة لسورية أيضًا أدّت دورًا واضحًا في هذا المجال وما تزال تؤدّي هذا الدور، والجميع يرون ذلك. لكن العامل والمخطّط الرئيسي وغرفة القيادة الرئيسة هي أميركا والكيان الصهيوني".

وتوقّع المرشد نشوء مقاومة في سوريا من "الشباب الغيور"، الذي لن يرتضي ما يحصل على الأراضي السورية، وأنه سيُقاوم وينتصر كما فعل العراق وإن طال الزمن، وأن الولايات المتحدة الأميركية الساعية لتثبيت أقدامها في المنطقة. "أما موطئ قَدَم أميركا فلن يثبت. وبعون الله، وبتوفيق من الله، سيتم طرد أميركا من المنطقة على يد جبهة المقاومة".

وفي الختام، أكّد المرشد الإيراني على "جهوزية الأمّة الإيرانية للمقاومة"، وأن "من يحلّل عبثًا حول أن ضعف المقاومة سيؤدّي إلى ضعف إيران فهو لا يعرف معنى المقاومة.. أقول لكم: إيران قويّة ومتينة وستصبح أقوى أيضًا".

الرئيس السابق لقسم الأبحاث في الاستخبارات الإسرائيلية، العميد احتياط يوسي كوبرفاسر، دعا إلى التعامل "مع التهديد الإيراني في الوضع الجديد في المنطقة ". ووصَف ما يجري في سوريا بالقول: "هذا تطوّر إيجابي بالنسبة للكيان. ولكن الآن يجب توجيه الجهود إلى الجبهة ضدّ نظام الملالي. يجب أن نكون مستعدّين لعمل عسكري في حال اكتشفنا تقدّماً كبيراً من جانب إيران نحو الأسلحة النووية"؛ "وفي الوقت نفسه، من المهم ممارسة ضغوط إضافية عليها – اقتصادياً وسياسياً –"، خاصة مع دخول الرئيس ترامب إلى البيت الأبيض، والذي سبق أن صرّح أنه من المتوقّع أن يزيد الضغط على النظام".

روسيا والصين: ما لم يغيّره الدهر لن يتغيّر بقرار آني!

إن أحداث سوريا لم تُضعف وحدة الساحات فقط في الإقليم، إنما من المرجّح أن تسهم في إضعاف وحدة الساحات على المستوى الدولي، سيما بعد لجوء الجانب الأمريكي في الأشهر الأخيرة (منتصف العام 2024) مجدّداً إلى سياساته القديمة، والتي تقتضي إيقاع الفرقة بين اللاعبين عبر مفاوضات ووعود بالشراكة والتقدم، وتجهيز الساحات للمعركة الكبرى إذا لم يركع العدو. ففي الوقت الذي تستمر فيه المباحثات الصينية– الأمريكية على مستويات متعدّدة، أصدر الرئيس الأمريكي جو بايدن مذكّرة

سريّة للأمن القومي بشأن التعاون بين الصين وروسيا وإيران وكوريا الشمالية، وفق تسريبات إعلامية؛ وهي تشـــير إلى التعاون بين روســـيا وإيران عبر تقديم مســـاعدات حيوية لإيران في مجال الطائرات المقاتلة والدفاع الصـاروخي وتكنولوجيا الفضـاء. كما تتضـمّن المذكّرة "توجيهات لإيجاد خيارات لإدارة ترامب لتجنّب المفاجآت المتعلقة بإيران وكوريا الشمالية وروسيا والصين".

اللقاءات التي جمَعت بين مسؤولين رسميين، من دبلوماسيين أمريكيين ودفاع، مع نُظرائهم الصـينيين، منتصـــف العام الجاري (عُيّن لي شـــانغفو وزيراً للدفاع في أوائل عام 2023، والذي فرَضـــت عليه الولايات المتحدة عقوبات عام 2018 بسبب شراء الصين أسلحة روسية وتمّت إقالته في شهر تشرين الثاني من العام نفسه)، كانت لفتَت انتباه بعض المحلّلين الأمريكيين باعتبار أنها تحدّد مسار العلاقات بين الطرفين في المرحلة اللاحقة إيجابياً، على عكس ما يمكن أن يتوقّعه البعض.

وفي شهر أيار 2024، عقَد وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن ونظيره الجديد دونغ جون، أوّل مباحثات وجاهية منذ العام 2022، حيث وصف أوستن اللقاء بقوله: "الأمور سارت على ما يُرام".

وقد سبق اللقاء المذكور لقاء آخر لوزير الخارجية الأمريكية أنتوني بلينكن عقَده مع نظيره الصـيني في العاصمة الصينية بكين، وتمحور، وفق تصريحات بلينكن، حول "الجهود للمنافسة بشكل مسؤول"؛ وهي بالمناسبة تذكّرنا ب"المنافسة العادلة" التي وعَدت بها هيلاري كلينتون روسيا، مطلع القرن الحالي، لتجد روسيا لاحقاً نفسها مُحاصرة بمنظومة دفاع صاروخي، مع ما تمثّله من بُعد استراتيجي فتح الباب أمام ما يحصل اليوم في النزاع الروسي –الأوكراني.

من جانبه، اعتبر وزير الخارجية الصـيني أن "موقف الصـين لطالما كان ثابتاً، حيث تتمسـك الصـين بمبادئ الاحترام المتبادل والتعايش الســـلمي والتعاون المربح للجانبين، وتلتزم بتعزيز التنمية المســـتقرّة والسليمة والمُستدامة للعلاقات الصينية–الأمريكية."

وفي شهر آب من العام الحالي، زار مستشار الأمن القومي الأمريكي جاك سوليفان الصين، على مدار أيام ثلاثة، وصَفها البعض بأنها أعادت بعضاً من الدفء على علاقة البلدين؛ في حين نقِل أن سوليفان في زيارته حمل عدّة ملفّات تشكّل خلافات حقيقية بين واشنطن، ومنها التوتّرات العسكرية بين الصين وحلفاء الولايات المتحدة في منطقة آسيا والمحيط الهادي، وعلاقات الصـين العميقة مع روسـيا وإيران،

والتوتّرات بين الصـين والفلبّين في بحر الصـين الجنوبي، وملف العلاقات التجارية؛ إضـافة إلى ملف تايوان الجزيرة.

لكن عند التدقيق بالمرحلة الزمنية لهذه التحرّكات ومذكّرة بايدن الأخيرة، نجد أنها تحمل الكثير من خصـائص الوعود الأمريكية السـابقة، بهدف خلق توجهات واهتمامات جديدة للاعبيين الدوليين، تُبعد فيما بين الحلفاء ليسهل عليها عملية السيطرة والتوسع العالمي.

ومن باب المتغيّرات في سـوريا، التقى وزير الدفاع الأمريكي لويد أوسـتن مع مسـؤولين في اليابان، للتأكيد على أهمية تحالفهما والتزام واشـنطن بالأمن الإقليمي مع تصـاعد التهديدات من الصـين وكوريا الشمالية. وأكّد أوستن أيضاً أن التعاون الثلاثي بين الولايات المتحدة وطوكيو وسيول أمر بالغ الأهمية للاستقرار الإقليمي، حتى في الوقت الذي تعيش فيه كوريا الجنوبية حالة من الاضطراب السياسي بعد إعلان الرئيس يون سوك يول الأحكام العرفيّة لفترة قصيرة الأسبوع الماضي." وخلال لقاء أوستن ورئيس الوزراء الياباني تم ربط مؤشّـرات "انهيار الحكومة السـورية" بقوّة "التحالف الياباني الأميركي"، في وقت يشـهد تغيرات سـياسـية عالمية سـريعة. واختصـر إيشـيبا لأوسـتن القول: "يمكن للعالم أن يتغيّر بشـكل جذري في غضون أسبوع".

وفي وقت لاحق، التقى أوسـتن مع نظيره الياباني، وأشـار إلى "السـلوك القسـري" للصـين في بحري الصـين الشـرقي والجنوبي ودعم كوريا الشـمالية لحرب روسـيا في أوكرانيا، باعتبارهما تحدّيات متزايدة. وأضـاف أن التزام واشنطن "بالردع الموسّـع"، بما في ذلك المظلّة النووية، تجاه اليابان وكوريا الجنوبية، "لا يتزعزع"، واصـفاً الصـين ب "الدولة الوحيدة في العالم التي لديها النيّة والقدرة على تغيير النظام الدولي القائم على القواعد في منطقة المحيطين الهندي والهادئ، وفقًا لوزارة الدفاع الأمريكية".

ومن المؤشّرات التي يجب أخذها أيضاً بعين الاعتبار للمرحلة القادمة، البيان الصـادر عن وزارة الدفاع الأمريكية، والذي أعلن عن توقيع وزير الدفاع لويد أوسـتن على اسـتراتيجية سـريّة لمواجهة تهديدات الطائرات بدون طيّار، في محاولة لتوحيد نهج الجيش لحماية منشـآته وأفراده من الأنظمة الجويّة غير المأهولة المسـلّحة. وقالت وزارة الدفاع الأميركية: "تشـكّل الأنظمة غير المأهولة تهديدًا عاجلاً ودائمًا

للأفراد والمرافق والأصـول الأميركية في الخارج". و"من خلال إنتاج اسـتراتيجية فريدة لمواجهة الأنظمة غير المأهولة، يتّجه الوزير والوزارة نحو فهم مشترك للتحدّي ونهج مشترك لمعالجته."

لقد ارتفعت وتيرة الهجمات الجويّة أحاديّة الاتجاه بطائرات بدون طيّار في السـنوات الأخيرة. وأصـبح البنتاغون قلقًا بشكل متزايد بشـأن التهديدات التي تشـكّلها هذه الطائرات للولايات المتحدة وحلفائها؛ في إشارة إلى الحرب الروسية– الأوكرانية والبحر الأحمر وفلسطين المحتلة؛ وهو ما يعني وفق البيان "أن الولايات المتحدة سـتسـعى إلى مجموعة من القدرات لتعطيل هذه الأنظمة، من الحرب الإلكترونية إلى الأسلحة الحركية".

المؤشر الآخر هو الدراسة الصادرة عن معهد ريغان السنوي للدفاع الوطني الأمريكي، مطلع الأسبوع الأول من شـهر 12 للعام 2024، والتي تشير إلى أن نسبة قياسية من الأمريكيين تؤيّد زيادة الإنفاق الدفاعي. وبشكل عام "ارتفعت ثقة الجمهور في الجيش بعد انخفاض استمر لسنوات عديدة، على الرغم من أنها لا تزال أقل بنحو 20 نقطة عن أعلى مستوى لها عند 70%، والذي سجّلته في عام 2018"؛ وهو ما اعتبرته راشيل هوف، مديرة المعهد، بأنه يعكس خطاب الرئيس الأمريكي دونالد ترامب "السلام من خلال القوّة" كإيديولوجية أساسية، وأن ما نراه يعكس تلقّي الجمهور لهذا الخطاب واعتقاده به.

وتنقسم هذه "الفصائل بشكل رئيسي إلى ثلاثة معسكرات؛ حيث ينادي صقور الدفاع التقليديون بزيادة الإنفاق العسـكري وزيادة الوجود العسـكري الأميركي في مختلف أنحاء العالم، بينما يفضّـل أصـحاب الأولويات والمتشدّدون اختيار الأزمات التي ينبغي أن يضعوها في المقام الأوّل أو التقليل من حجمها. ومن بين الثلاثة، يحظى أولئك الذين يطالبون بتحويل الموارد الأميركية بعيداً عن أوروبا ونحو آسـيا بأقل قدر من الدعم الشـعبي. والواقع أن 88% من الجمهوريين الذين شـاركوا في الاسـتطلاع قالوا إن الإنفاق الدفاعي لا بدّ أن يرتفع." وقال توماس كينا، من معهد ريغان، إن "أولويات السياسة الخارجية لا تعكس ما يفضّـله الناخبون الجمهوريون فيما يتصـل بسـياسـاتهم الخارجية. فالجمهوريون يريدون منّا أن نمتلك جيشاً كبيراً بما يكفي للتعامل مع الصين وروسيا في نفس الوقت."

هذا ويعتزم الكونغرس الأمريكي زيادة رواتب المجنّدين بآلاف الدولارات في عام 2025. وتشمل الخطة أيضًـا زيادة في أجور القوّات الأخرى بنسـبة 4.5%، وأكثر من 2 مليار دولار لتمويل الثكنات الجديدة

والمساكن العائلية، ومكافآت موسّعة وحوافز توظيف لتعزيز عدد العاملين الطبّيين في مرافق الرعاية الصحية العسكرية، وزيادة رواتب العاملين في مجال رعاية الأطفال لتحسين توافرهم في القواعد العسكرية، ومواجهة مشاكل التجنيد والاحتفاظ بالأفراد في صفوف الجيش.

إن سيناريوهات الجبهة الدولية ترجّح استمرار إنهاك روسيا وصولاً حتى تركيعها، ولاسيما بعد الضعف الذي بدا جلياً في الملف المتوسطي، وفي المحاولات الأمريكية الدؤوبة لفصل مسارات الدول المتحالفة مع روسيا، وإضعافها بالضغط المالي أو الاقتصادي أو الوعود، إلى جانب بطء ردود الفعل الروسية الفاعلة عموماً، والتذبذب الصيني، وتعليق الآمال على مستجد أمريكي قادم، من غير المرجّح أن يقدّم الكثير لها فيما يتعلق بالأهداف الاستراتيجية للقوّة الأمريكية. إن الوصول الى نقطة اللاعودة الروسية قد يُنذر بكارثة حقيقية على المستوى الدولي، لن تكون أوروبا ببعيدة عنها إطلاقاً.

سيناريوهات الجبهات القادمة:

- في المرحلة الأولى، من المرجّح أن يتعرض اليمن لحرب واسعة تشارك فيها مجمل الدول المعنيّة من الجبهة المقابلة. وستعمد فيها هذه الدول إلى محاولة ضرب مجمل مقوّمات الصمود اليمني، إلى جانب محاولة القضاء على روحية الشعب اليمني التي أقضّت مضجع "القوّة العظمى" أمريكا في منطقة نفوذها وقوّتها، أي القوّة البحرية. وقد يعمد فيها الأعداء إلى حروب متنوّعة، استُخدمت بطرق مختلفة في أماكن متفرّقة، ليس آخرها سوريا، وتجمع بين الاغتيال والمال والخديعة بالتفاوض "والابتسامات" التي تستبطن خلفها الطعن، والتي وجّه المرشد الإيراني إليها. ومن المرجّح أن تُسهم دول عربية، إلى جانب الدول الغربية و"إسرائيل"، في محاولة القضاء على القوّة والمنعة اليمنية.
- من المرجّح، ولأسباب تتعلق بجغرافيته، أن يكون العراق في المرحلة القادمة على اللائحة، ولكن ليس انطلاقاً من تدخّل أطراف الصراع الدولي بشكل مباشر، والصراع الإقليمي كحالة اليمن، وإنما تدخّل أطراف الصراع على المستوى الإقليمي سيواكبه تحرّك الوكلاء بعد وضع ركائز الحكم الجديد في سوريا، ولأسباب تاريخية ومذهبية متعدّدة.

- بالنسبة لإيران، من شأن تغيير الأوضاع في سوريا أن يدفع باتجاه اعتماد أي من السيناريوهات التي قد تواجه الجمهورية الإسلامية. ففي حال تشظّي الحكم الجديد في سوريا، ستدفع هذه المعادلة إلى الاستشراس في الدفاع عن الأراضي الإيرانية، وفي مواجهة الخواصر الرخوة المتعددة من حولها. أما في حال آلت الأمور في سوريا باتجاه حلول ترضي الشعب السوري وتؤسّس لنظام يتمتّع بالسيادة والمقبولية في الداخل السوري والمحيط الإقليمي، فمن شأن هذا الوضع أن يحرّك المخاوف ذات البعد الداخلي في إيران.
- أما فيما يخص تركيا، فكما أشرنا أعلاه، من المرتقب أن تصطدم بجدار ملف الأكراد، في ظل مؤشّرات على وجود رغبة إسرائيلية – أمريكية بتقسيم سوريا.

كما من شأن تبنّي تركيا للعملية التغييرية في سوريا أن يضعها موضع المساءلة على مستوى الداخل التركي، ولاسيما إذا ما اشتعلت الجبهة السورية وعاد النازحون إلى التدفّق على تركيا؛ وكذلك الأمر على مستوى العالم الإسلامي، وفيما يتعلق بالقضية الفلسطينية.

- من المرجّح أن تتحوّل تركيا في مرحلة قريبة إلى "رهاب تركيا" و"رهاب الإخوان المسلمين"، ما يدفع، من وجهة نظر عربية، إلى مزيد من التوجه العربي نحو الحضن الإسرائيلي.
- هناك احتمالية أن تتعرّض قطَر للمزيد من الضغوط العربية والدولية، على الرغم من المجاملات السياسية الأمريكية الراهنة، ولاسيما مع قدوم إدارة دونالد ترامب؛ إذ إن ما يمكن للمملكة السعودية وحلفائها من العرب أن يقدّموه لهذه الإدارة، كالتطبيع، والقدرات الاقتصادية، والموقع الجغرافي... يتخطّى الدور القطَري على أهميّته.